الجزء السابع

السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك مرتين في الشهر

وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٦ ٢٧ شعبان سنة ١٣٢٤

درس في المدنية الاميركية

مبني على المشاهدة العيانية

مشاهدات في اميركا

النظرة الاولى

٣

﴿ نيويورك ﴾ يرى القارئ في الرسم المنشور بجانب هذه الصفحة ان نيويورك ثلاثة اقسام . مدينة نيويورك نفسها . ومدينة بروكلن التي يجمع بينها وبين نيويورك جسر بروكلن المشهور الظاهر في يمين هذا الرسم . ومدينة نيوجرزي التي يفصل بينها وبين نيويورك نهر هدسن في غربي نيويورك وان كانت هذه المدينة غير تابعة لها . وقد كان اسمها قديماً (نيو امستردام) اي امستردام الجديدة وقد سميت كذلك لان الهولانديين الذين اكتشفوها في سنة ١٦٠٩ سموها باسم عاصمتهم (امستردام)

وولاية نيويورك نفسها شبه جزيرة بين النهر الشرقي في شرقها ونهر هدسن في غربها .

وسمي هذا النهر بهذا الاسم نسبة الى هنري هدسن الانكليزي احد عمال هولانده في سنة ١٦٠٩ لانه هو الذي اكتشف هذا النهر . ولما حلّ الهولانديون في ارض نيويورك كانت هذه الجزيرة تسمى (جزيرة ماناتان) وقد ابتاعها اول حاكم هولاندي من سكانها الهنود الاصليين بقيمة ٢٥ ريالاً . .

وفي سنة ١٦٦٤ اغتنم الانكليز احدى الفرص واستولوا على مستعمرة هولانده في هذه الجهات وكانت تدعي (هولانده الجديدة) فسموا (امستردام الجديدة) باسم (نيويورك) نسبة الى دوق اوف يورك شقيق ملك انكلترا شارل الثاني . ولما قام الاميركان لحرب الاستقلال بقيت (نيويورك) آخر حصن للانكليز ولم تسلم الى الاميركان الا بعد التوقيع على شروط الصلح . وقد جعلها جورج واشنطن محرر اميركا عاصمة الولايات في ذلك العهد

﴿ موقعها ومساحتها ﴾ هي واقعة بين الدرجة ٤١ و٤٢ من درجات العرض شمالاً وفي الدرجة ٧٦ من درجات الطول غرباً . وطول نيويورك وحدها اي شبه جزيرتها بين النهرين ١٦ ميلاً وعرضها يختلف بين اربعة اميال ونصف . وثلاثة ارباع الميل . ومساحتها ٢٢ ميلاً مربعاً . فليس في الارض كلها بقعة ضيقة من الارض كهذه البقعة تحتوي على ما تحتوي عليه نيويورك من زحام السكان وضخامة العمران وتزاحم الاشغال وكثرة الاموال

﴿ ميناؤها ﴾ يبتدئ ميناء نيويورك عند مصب نهر هدسن حول المدن الثلاث وينتهي عند الاوقيانس الاتلانتيكي . والمسافة بينهما ١٨ ميلاً . ويصل بينه وبين الاتلانتيكي مضائق ماين وسويش وشيز سوت وجدنيز . ومساحه الميناء كله ٤٠ كيلومتراً مربعاً تدخل اليه وتخرج منه السفن البخارية لمائة شركة اميركية وغير اميركية . وان منظر ازدحام البواخر الماخرة فيه ذهاباً واياباً عشرات عشرات تحمل الثروة والركاب منها اليها ومنها الى اوروبا وسائر الاقطار لمنظرٌ لا يشعر بعظمته وجماله الا من رآه رأي العيان

﴿ سكانها ﴾ كان عدد سكانها في سنة ١٦٥٠ يوم كان اسمها (امستردام الجديدة) نحو الف نفس يشتغلون بالزراعة وتجارة الجلود مع الهنود سكان البلاد الاصليين . وفي سنة ١٧٩٠ اصبح عددهم نحو ٣٤ الفاً وفي سنة ١٨٦٠ — ٨٣ الفاً وفي سنة ١٨٩٠ — مليوناً و ٥٠ الفاً وفي سنة ١٩٠٠ — ثلاثة ملايين نفس و ٤٤٠ الفاً . وفي هذا العام كان عددهم

ثلاثة ملايين و٩٠٠ الف نفس . منهم ١٥ الفاً من الفرنسويين و ٩٠ الفاً من الايطاليين و ٢٩٠ الفاً من الايرلنديين و ٣٥٠ الفاً من الالمانيين و ٧٥ الفاً من الروس و ١٦ الفاً من الهنغاريين و ١٢ الفاً من اهل كندا و ٢٥ الفاً من اسوج ونروج و ١٨ الفاً من الاسكوتلانديين هذا غير الاسبان واليونان والسوريين وغيرهم . ولذلك يقولون عن نيويورك « انها مدينة الغرباء ولا غريب فيها » اشارة الى ان كل غريب يحل في ارضها يصبح كواحد من اهلها . وهذه مزية عظمى لشريعة اميركا الرحبة السهلة

﴿ صورة المدينة ﴾ اذا ذكرنا لك هنا شيئاً عن معيشة نيويورك اليومية وقفت على مجمل معيشة الاميركان سكان المدن العظمى . فالداخل الى نيويورك من شارع وست بعد نزوله من الباخرة الى شارع « برودواي » اعظم شوارع المدينة ينتقل فجأةً من سكون اوروبا والشرق الى حركة هائلة لا مثيل لها . وشارع برودوايه (١) هذا يقسم المدينة قسمين ويمرّ في وسطها فكأنه المحور الذي تدور عليه المدينة كلها . وهو يبتدىء من جنوب المدينة قرب الميناء ويمتد مع ملحقاته الى مسافة ١٨ او ٢٠ كيلومتراً نحو شمالها . وما كان من الشوارع الى جانبه الغربي سمي باسم الغرب وما كان الى جانبه الشرقي سمي باسم الشرق . فيقال مثلاً « الشارع العاشر شرقاً والشارع التاسع غرباً » وارقام هذه الشوارع مرسومة على زجاج فوق عمود من حديد عند كل شارع وبناء على ذلك يكون الاهتداء الى تلك الشوارع من اهون الامور ما دام المسافر يجعل شارع برودواي بمثابة بوصلة يهتدي بها . واذا مررت في برودواي خصوصاً في الشارع الثالث والاربعين منه حيث يتقاطع برودواي والجادة السادسة (6 Ave.) فترى ان الحركة هناك تبلغ مبلغاً تضايق الذي لم يعتد عليها . فمركبات الترموای تمرّ مزدحمة بالركاب مسرعة نحو جهات المدينة الاربع وفي كل ٤ او ٥ دقائق تمرّ مركبة . والسكة الحديدية المرتفعة في الهواء ارتفاع المنازل تمرّ عليها القطارات كالبرق الخاطف فيسمع لها دويٌّ يصم الآذان لاهتزاز دقائق الواح الحديد المبنية عليها والقوائم الحديدية القائمة تحتها . وتسمع تحت قدميك هديراً شديداً فتسأل عنه فيقال لك انه صوت القطار في نفق تحت الارض يسير كلمح البصر . وعدا هذا مركبات الاوتوموبيل

(١) معنى برودواي « الجادة » اي الطريق الواسعة ولم يسمَّ كذلك لسعته لان كثيراً من شوارع باريز اوسع منه ويقرب ان يكون عرضه عرض شارع شريف باشا بالاسكندرية وربما كان شارع شريف باشا انظف منه في كثير من الجوانب

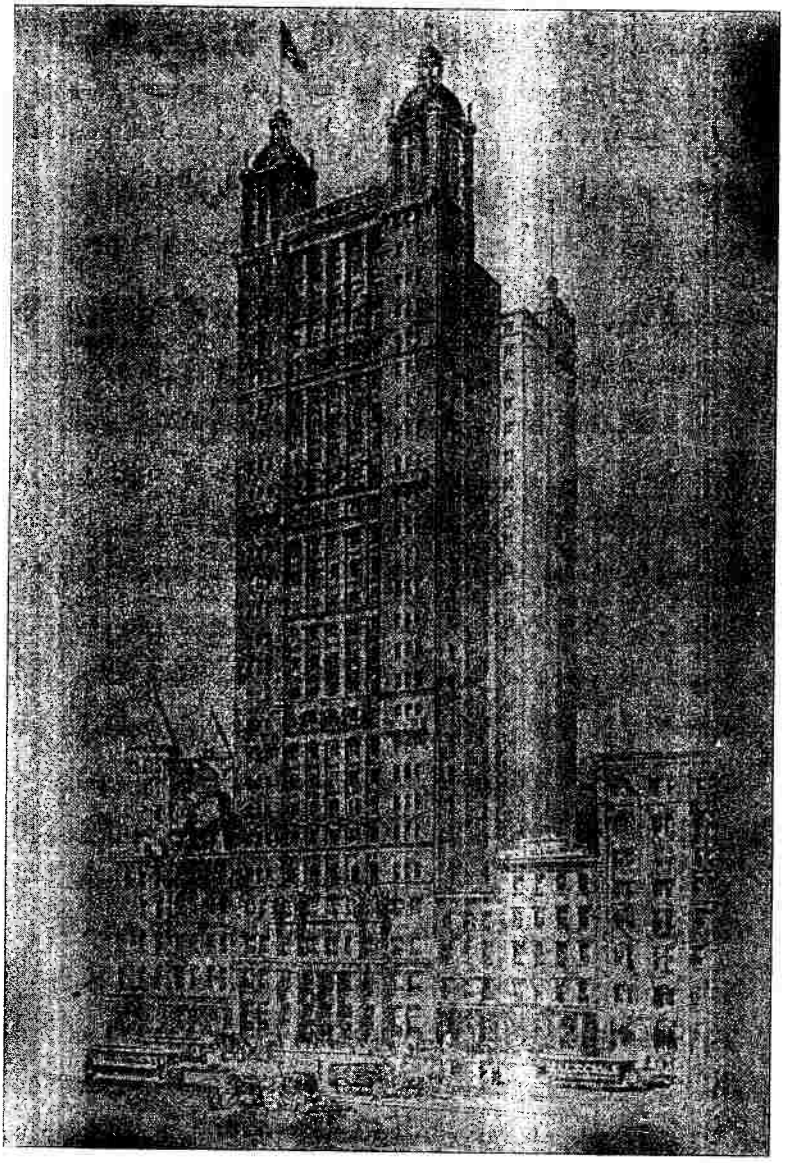

بارك رو بلدن

ذو ثلاثين طبقة وهو اعلى مباني نيويورك . ارتفاعه ٣٨٧ قدماً

والخيل ومركبات البضائع تتفرق في الشوارع المختلفة كانها طيور تطلق فيها . وبين هذه الوسائط الهائلة للنقل السريع الوف من الناس الغير الراكبين فيها يهرعون الى اعمالهم بنشاط الشباب وقلما تجد فيهم من يمشي منهم على مهل . واذا نظرت الى الابنية حولك ترى ما يدهشك في ارتفاعها . فانك تجد بينها ما ارتفاعه من عشر طبقات حتى خمس وعشرين حتى ثلاثين طبقة كالبناء الذي نشرنا رسمه في الصفحة السابقة . وان الصناع الاوربيين الذين يرون هذه المباني الشاهقة لا يرون فيها شيئاً من جمال الصناعة الحقيقية . وهم مصيبون في رأيهم هذا اذا كانوا يريدون قياس جمالها على جمال فن البناء الروماني واليوناني والغوثي في اوروبا . ولكنهم اذا تأملوا ملياً وجدوا لهذه المباني التي اخترعها الاميركان للقيام بحاجات المدينة جمالاً خاصاً بها وهو جمال العظمة والضخامة . فهنا كل شيء يعدُّ جميلاً انما يكون جماله بعظمته وضخامته ومتانته لا برقته ونحافته ودقته . ولعل هذا هو الفارق الحقيقي بين جمال الفن الاوروبي والفن الاميركي . وكل ما رأيناه في اميركا حتى الآن يثبتنا في هذا الرأي

فنحو اربعة ملايين نفس تتنقل كل يوم بنشاط غريب بين تلك المباني في تلك المركبات على لارض وفوق الارض وتحت الارض بين فرقعة وضوضاء تزهق منها نفس المسافر في اول يوم . واذا حللت هذه الضوضاء وجدت انها ناشئة عن اصوات القطارات والمركبات واجراس الترمواي واحتكاك الحديد واقدام المارة وفراغ الهواء وامتلاؤه عند مرور القطارات وصوت آلات البناء التي تبني الابنية الجديدة . اما الناس فقلما تسمع بينهم صوتاً . فترى واحدهم يمشي بثياب نظيفة جديدة مصقول الشعر احمر اللون حليق الشارب وفي فيه سيكار ضخم يمضّ عليه فيصبح فمه مفتوحاً ويظهر فيه لسانه يداعب عقب السيكار . فاذا كنت ممن لا يدخنون عراك اشمئزاز من هذا المنظر . وهو يمرُّ مسرعاً لانه اعتاد سرعة السير وان كان سائراً لغير شغل . وتجد على وجهه وفي عينيه من دلائل الحماسة للعمل ما يدلك على انه في منتهى النشاط الحيوي وان لم يكن على شيء من الرقة واللطف . وقلما تجد في النهار جماعة يمشون معاً لان الوقت وقت عمل . واذا دخلت الحانات وجدتها خالية خاوية الا عند الظهر وفي المساء . وقلما تجد في هذه الحانات اماكن للجلوس لان الناس يشربون الوسكي او البيره وقوفاً ثم ينطلقون في سبيلهم . وقد قابلنا بين هذه الطريقة وطريقة قهاوي اوروبا والشرق حيث يجلس الناس بكسل في القهاوي ساعات طويلة فرأينا ان طريقة اوروبا مدعاة الى تسهيل سبيل الكسل وحمدنا الطريقة الاميركية . وقد ذكرنا

معيشتهم عند طعام الظهر في الجزء الخامس فلا فائدة من العودة اليه

واذا دقت الساعة السادسة مساء اندفعت الالوف ومئات الالوف من الناس قاصدة منازلها ويبدأ حينئذٍ الهجوم على القطارات والمركبات للسبق الى الركوب فيها . واذا هجمتَ معهم وفتحت لنفسك طريقًا الى المركبة وصدمت في اثناء مرورك رجلاً او رجلين فلا تلتفت ولا تعتذر لان كلامك يذهب سدىً لان من صدمته لم يبالِ بصدمك ولا التفت اليك . فهو يرى هذا الصدام في الحياة مظهرًا من مظاهر الحياة والنساء يهجمنَ مع الهاجمين نحو المركبات فلا يفسح لهم الرجال الطريق اذا لم يفتحنها فتحًا بقوتهنَّ . واذا بلغنَ المركبات ووجدنها مزدحمة ووقفنَ فيها فقلما يقوم رجل لاجلاس احداهنَّ في محله الا ما ندر

قوات اميركا العظمى

﴿ اسباب عظمة الامم ﴾ قد ذكرنا آنفًا طرفًا من تاريخ نيويورك وعدد سكانها وحالة مبانيها وطرق الاعمال والمعيشة اليومية فيها وقد كان الغرض منه الالمام بشيءٍ من ذلك لا لاستيفاء تاريخ عمرانها لان القواميس وكتب الجغرافيا طافحة باخبارها التاريخية والجغرافية والعمرانية ومرمانا في هذه الفصول درس مدنية اميركا لا ذكر تاريخها . لان تاريخها شيءٌ ثانوي قد مضى وانقضى فقلما نجد فيه فائدة . اما درسنا هذا الدرس في المدنية الاميركية من الجهة الاجتماعية فهو اكبر فائدة واجزل عائدة لانه يرينا الطريق الحقيقية الى الارتقاء الاجتماعي ويدلنا على اسباب نهضة اميركا هذه النهضة السريعة . وما التاريخ سوى عبارة عن ذكر حوادث خلت وامور مضت يستقيها كل قارئٍ من مصادرها في الكتب والقواميس التاريخية للتفكه بها بلا فائدة اجتماعية . ونريد الآن في هذا العصر الذي يدعى « العصر الاجتماعي » ان نعرف ما يقع امامنا وبعدنا لا ما وقع قبلنا .

واننا نتذكر ان رصيفنا المقتطف الاغر قال منذ عدة سنوات جوابًا على سؤال القته الجامعة يومئذٍ على اهل العلم والنظر بشأن « النهضة الادبية في الشرق » ما خلاصته انه يتمنى لو يذهب قوم من شرقنا الى اليابان ليدرسوا اسباب نهوض تلك الدولة . ولا شك ان درس حالة اليابان يفيدنا فائدة كبرى ولكن درس حالة اميركا اشدُّ فائدة لانها اجمع واوعى للقوات التي بها تنهض الامم . ومظاهر هذه القوات اوضح فيها منها في غيرها

وهذه القوات هي في الحقيقة خفية كأثير السماء لا تصل اليها الا العيون التي اعتادت النظر في الخفاء . واستخراج مبادئ الارتقاء مما يحيط بها في المعيشة العمومية اليومية من

غشاء . سل التاجر ما سبب عظمة اميركا يجبك انها عظيمة لانها بلاد تجارية واسعة كثيرة السكان فاذا صنعت فيها شيئاً من تراب الارض وعرضته فيها وجدت من يشتريه منك . وسل الزارع ما سبب عظمة اميركا يجبك لانها بلاد زراعية واسعة تخيرات الارض تغني اهلها . وسل الصانع يجبك لانها بلاد صناعية . وسل الكاتب يجبك لانها بلاد الحرية وهلم جرًا . ولكن هذه الاجوبة كلها اجوبة «سطحية» . فان كثيرًا من بلاد الشرق كمصر والاناضول والهند وفارس والصين مثلاً انما هي بلاد زراعية تجارية . وعدد سكان الهند مئات ملايين من النفوس ومع ذلك فهي لا تزال في الدرجة السفلى بازاء الامم النازلات في الدرجة الاولى . والصواب ان هناك اسبابًا رئيسية خفية ترفع الامم وتحطها . وهي فوق تجارتها وصناعتها وزراعتها

السبب الاول

﴿ النواة الاولى ﴾ واول تلك الاسباب ما نسميه «النواة الأُولى» التي تجتمع حولها الامم وتتكوّن بها شيئًا فشيئًا . قالوا في الرأي السديمي في خلق الكون ان الكون كان في مبداء امره سديمًا (١) منتشرًا في الفضاء ثم تحرّك هذا السديم بفعل محرّك مجهول فجمدت منه نواة وصار سائره يجتمع ويجمد حول هذه النواة حتى جمد كله واصبح جسماً واحدًا تفرّق بعدئذٍ وصار اجرامًا . فهذه النواة هي الشرط الاول في جمود جميع الاجسام السائلة . والامم مثلها مثل هذه الاجسام

والنواة الاولى التي تتكون بها الامم ﴿ جامعة عادلة قوية ﴾

ونريد هنا بكلمة «الجامعة» عهدًا يرتبط به جماعة نازلون في بقعة واحدة من الارض ويفوضون الى ممثليه بينهم بمطلق اختيارهم حماية ورعاية شؤونهم العمومية ولذلك يفرضون على انفسهم الطاعة لهم وتأدية الضرائب اللازمة في عملهم هذا . وحيث ان ممثلي ذلك العهد وظيفتهم حماية ورعاية مصالح تلك الجماعة فعملهم يشمل امرين : الاول دفع كل ضرّ عنهم والثاني جلب كل خير لهم . لانهم اقيموا لهذا الغرض

ونريد بكلمة «عادلة» في قولنا «جامعة عادلة» بناء ممثلي ذلك العهد جميع اعمالهم على مبادئ القسط والانصاف بين الجميع ليتمكن كل واحد من تلك الجماعة من العمل النافع له دون ان يخشى عدوان احد عليه لحرمانه ثمرة عمله او اضعاف همته او الحيلولة دون نموّه

(١) يعنون بالسديم هنا ضبابًا غازيًا رقيقًا عامًا

ونريد بكلمة « قوية » في قولنا « جامعة عادلة قوية » ان يكون لدى ممثلي ذلك العهد قوّة مادية غير القوّة الادبية تُلزم بها من يريدون الخروج عن دائرة العدل والانصاف بالرجوع عن عدوانهم . وربما كان هذا الشرط اهم شروط هذا التعريف لانه اذا لم يكن لممثلي ذلك العهد « هذه القوة » عجزوا عن اجراء العدل لان اهل العدوان لقوتهم عليهم يتمكنون من تجاوز الحدود المرسومة فيضيع العدل . ولسنا نقول الآن ان ثوار كوبا في الايام الاخيرة قد خرجوا عن حدود الانصاف والعدل بثورتهم على حكومتهم لاننا لا نعلم هل الحق في جانبهم ام في جانب حكومتهم . ولكنا نرى الآن ثورتهم هذه خير مثال لهذا الموضوع . واكثر ما يحتاج الى هذه القوة في الامم الصغيرة خصوصاً الشرقية حيث تكثر الدسائس والفتن ويمكن لاي رجل يريد اثارة الناس ان يثيرهم بالتحمس الديني . فان الحاكم الذي هو ممثل ذلك العهد اذا لم يكن له قوّة على كبح جماح هذا الفريق عند ارادته ادخال الاصلاح في بلاده فانه يضطر الى مجاملتهم والجري في تيارهم لكراهتهم هذا الاصلاح الذي يبطل امتيازاتهم ويضرّ مصالحهم

وقد ضربنا في ما تقدم مثلاً في ثورة كوبا الاخيرة وهنا نضرب مثلاً في مسائل الشرق . فان اكثر بلايا الشرق مصدره أمران . الاول ضعف ملوكه وامرائه « ممثلي ذلك العهد الذي تقدم ذكره » من حيث شخصيتهم وكفائتهم والثاني كونهم اسراء حاشيتهم وحملة غاشيتهم فاذا أرادوا اصلاحاً حالت هذه الحاشية بينهم وبينه في اكثر الاحيان اما مباشرة بمقاومتهم سرًّا واما ضمناً بكتمانها الحقائق عنهم . واذا وجد منهم من يريد « الاصلاح قبل كل شيء » ولم يكن ذا كفاءة لوظيفته السامية ومزايا شخصية كبرى تمكنه من الاستبداد برأيه كما فعل بطرس الاكبر في روسيا يوم ادخل الاصلاح الى روسيا بالعنف والشدّة فانه يسهل على الحاشية او من يكرهون هذا الاصلاح لمخالفته مصالحهم او آراءهم مقاومته باثارة الشعب كما كان يفعل بطاركة بزنطية بامبراطرتها والفاتيكان بملوك اوروبا . فالسلطة التي تمثل ذلك « العهد » ان لم يكن لها مطلق الحرية والقوّة لتنفيذ الشرائع التي سنتها الجماعة باختيارها ورضيت بها فانها لا تصلح لان تكون نواة يجتمع حولها خيار الامة ليسيروا معها في سبيل الارتقاء . فالنقص الاول في بلاد المشرق هو عدم وجود « نواة قوية عادلة » تقبض على ازمة الحكم وفي يمناها سيف من نار لمقاومي الاصلاح في الامة وفي يسراها غصن من الزيتون — علامة الامن والسلام — لمريدي هذا الاصلاح . فحاجة الشرق الاولى هي الى « شخصية عظمى » ومن سوء الحظ ان هذه الشخصية لا تشرى ولا

تباع بين الناس . ولكنها هبة من الطبيعة كالماس

فاول سبب من اسباب انحطاط الشرق كون « ممثلي ذلك العهد » في بلاده من الملوك والامراء يرثون حق الرقابة على ذلك العهد ارثاً بدل ان تختار الامة من ابنائها من تراه اقدر واقوى على تمثيله وتنفيذ شروطه والقيام بعبئه . وبناء على حق الارث تصبح ازمة السلطة العليا عرضة للصدفة والاتفاق . فاحياناً يكون الذي القيت اليه بحق ذلك الارث اهلاً لها وهو النادر جداً واحياناً يكون اي رجل في رعيته اكثر اهلية لها منه . وقد كان اعظم الاسباب في قيام دولة العرب في صدر الاسلام واتساع ملكها وعزها ان الامارة « التي تمثل ذلك العهد » انما كانت تعطى بحق الانتخاب لأفضل واقدر رجل في الامة . قال الفيلسوف نيبتش ان الاسلام يحق له ان يفاخر برجاله الأول الذين اسسوا دولته الاولى . ولولاهم لما كان قدر ان يفعل شيئاً

فالنواة الاولى التي اجتمعت حولها الولايات المتحدة في بدء نشأتها كانت شخصية جورج واشنطن الكبرى محرر اميركا . وهي اليوم شخصية الرئيس روزفلت ممثل « ذلك العهد » في جمهورية الولايات . وانك لتسمع الناس احياناً يشبهون الرئيس روزفلت بالامبراطور غليوم من حيث افعاله واقواله في خطبه . على ان الرئيس رزفلت اهدا وارزن من امبراطور المانيا كثيراً ولكنه يضطر الى الظهور بهذا المظهر لانه يعلم انه « مصدر حركة جماعته » وعليه ان يكون في افعاله واقواله اول مثير فيهم للنشاط والقوة والفضل

السبب الثاني

﴿ ناموس بقاء الفضل ﴾ قال الفيلسوف ابن رشد في كتابه « تهافت التهافت » : ان الافضل ينسخ بما هو افضل منه . وهو الناموس الذي اثبته وبسطه العلامة دروين بعد ابن رشد بعدة قرون ويسمونه اليوم (بقاء الانسب او بقاء الاصلح) ونسميه نحن (بقاء الافضل) متابعة لابن رشد واضع هذه الكلمة . ومقتضى هذا الرأي ان الاشياء والاشخاص في الاجتماع والطبيعة تحنك وتصطدم والزمان بمروره عليها يضعف مفضولها ويميته و يبقي افضلها ويحييه . وهذا الرأي صحيح في البيولوجيا (علم الحياة) وفي الطبيعة الجائرة المتروكة للفطرة والقوة البدنية . فالحيوانات الضعيفة في عرض البر تنقرض بجانب الحيوانات الضعيفة . ونوعها الضعيف من الجنس الواحد ينقرض بجانب نوعها القوي . فهناك لا نظام ولا شريعة غير شريعة الفطرة والغريزة الحيوانية . واما في الاجتماع فقد اصبح له في هذا الزمان خصوم

كثيرون خصوصاً في الحزب الحرّ في انكلترا وطن هذا الرأي . فان كبار مؤلفي هذا الحزب وعلمائه يقولون انه قد ثبت الآن في المدن الكبرى المزدحمة بالسكان والغاصة بالرذائل والفظائع ان الضعيف السافل لا ينقرض بازاء القوي الصحيح ولكن يعديه ويجعله ضعيفاً مثله . فان دائرة احياء الفساد والمسكرات في لندن مثلاً آخذة في الاتساع بدل ان تضيق . واشغال البورصة مبنية على الصدفة والمجازفة فقد يسقط فيها الاقوياء ويقوم الضعفاء . ولهم على ذلك ادلة وشواهد عديدة . ولكن اذا كان هذا الرأي مرجوحاً في الاجتماع سسيولوجياً وبيولوجياً فهو صحيح على الأرجح من حيث (الآداب السياسية والاجتماعية) التي هي موضوع الكلام هنا

ونريد (بالآداب السياسية والاجتماعية) مفعول الطرق التي تنفذ بها شرائع البلاد ومفعول الطرق التي تكوّن بها اخلاقها

قد ذكرنا في ما تقدم ان (اول نواة) تجتمع حولها الجماعة هي (شخصية الرجل الموكول اليه تمثيل ذلك العهد) . ولكن هذه الشخصية وحدها لا تكفي مهما كانت عظمتها ونشاطها ان لم يكن لها اعوان . واعوان هذه النواة الذين بدونهم لا يستقيم حال امة ثلاثة (الاول) المجالس النيابية . (والثاني) قوة المعارضة لبقاء الافضل . (والثالث) حرية الجرائد

فلا يخفى ان لكل ولاية وكل امة مصالح خصوصية وعمومية . والتصرّف في شؤونها يجب ان يكون على ايدي نواب منها درسوا حالاتها وعرفوا حاجاتها وآراءها . ولها هذا الحق بحكم الطاعة والضريبة التي فرضتها على نفسها للسلطة التي وكلت اليها حق السيادة عليها . فلزم عن هذا ان يكون لها نواب في المجلس التشريعي الذي يسنّ الشرائع النافذة فيها وذلك اولاً للمشاركة في سنّ هذه الشرائع وثانياً لحماية مصالحها من ان يصيبها ضرّ سواء كان هذا الضرّ من نفسها على نفسها او من استبداد ذات الهيئة الحاكمة بها او من اعتداء ولاية اخرى عليها . ومجموع نواب الولايات (الذين هم السلطة التشريعية) يكونون بمنزلة الوسيط بين مجموع الشعب وممثل العهد الذي مرّ ذكره الذي هو (السلطة التنفيذية) . فاي ضر او ظلم اصاب ولاية طيّرت خبره الى نوابها فيتولى نوابها الدفاع عن مصالحها في المجلس النيابي ويكشفون ظلامتها . وهكذا يتعذر على الهيئة الحاكمة ممثلة ذلك العهد ان تختلس السلطة التشريعية لتستبد بالامة . لان عملها كما تقدم في السبب الاول قاصر على السلطة التنفيذية اي تنفيذ الشرائع التي يسنها المجلس النيابي صاحب الحق وحده في السلطة التشريعية

وان اعظم ابتداع واكتشاف في تدبير الامم وسياسة الشعوب في العصر الحديث كان هذا الفصل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية. وكل امة فيها هذا الفصل امة راقية. وكل امة عُدم هذا الفصل فيها امة ضعيفة تدور في دائرة الانحطاط. وبناء على هذا الفصل وما يتبعه من حماية مصالح الولايات وحقوقها ينفسح لاهلها مجال العمل والأمن والعدل والارتقاء. اذ لا قيد يقيد حينئذٍ حرية الفرد غير قيد الشرائع العادلة المسنونة بالانصاف للجميع. فتثور الهمم للعمل لأمنها على ثمرة اعمالها ووجود من يحميها لها في الداخل والخارج. ويصير حينئذٍ (لكل امرئ ما سعى)

فرغنا من امر المجالس النيابية. والأمر الثاني (قوة المعارضة لبقاء الافضل)

ونعني (بقوة المعارضة) الاحزاب التي تتألف في المجلس النيابي لادارة سياسة الامة. وسبب تألف هذه الاحزاب اختلاف آراء النواب في طريقة السياسة وان كانت متفقة في المبادىء الاصلية. ووظيفة كل حزب امران. الاول مراقبة اعمال الحزب الآخر ومعارضته في كل ما لا يرى فيه خيرًا للامة. والثاني وضع بيان بمطالبه ومبادئه والاصلاحات التي يريد اجراءها والسعي الى تحقيقها بجد ونشاط. فينشأ عن ذلك تنافس حميد عليه المعوّل اليوم في السياسة الداخلية في جميع الامم الحية. ويصبح كل حزب متفانيًا في تحقيق مبادئه بانيًا اعماله على العدل والسداد لخوفه من معارضة الحزب الآخر فيمتنع الاستبداد بذلك. وهنا وصلنا الى مبداء «بقاء الافضل» فنقول ان هذا الاحتكاك بين آراء الاحزاب الفاضل والمفضول. والراجح والمرجوح. لا يبقي منها بعد حين غير افضلها واصلحها للامة. وما يثبت بعد تنفيذه انه ضعيف او مضرّ بمصلحة الامة او بمصلحة جماعة منها يعدل عنه اما طوعًا او كرهًا لان الشعب منتخب النواب يلزمهم بهذا الرجوع اذا اصروا عليه. ولا نجهل الاعتراضات التي يُعترض بها على هذه الطريقة النيابية وتشعب آراء الاحزاب خصوصًا في الممالك الصغيرة التي لا قوّة فيها للرأي العام ليحترمه نوابها وحكامها او التي لا جامعة حقيقية تجمع احزابها المتنافرة لانها من اجناس مختلفة. ولكن اوروبا واميركا لم تنمُ هذا النموّ العظيم ولم توضع شرائعها الاجتماعية العادلة التي رقت شعوبها الاّ في ظل الطريقة النيابية ومعارضة الاحزاب. ولما كان اللورد سالسبري رئيسًا للوزارة في انكلترا وكبيرًا لحزب المحافظين وشهد اختلاف الحزب الحرّ وانقسامه قال في احدى خطبه انه يأسف لضعف الحزب الحرّ لان المعارضة القوية ضرورية لحسن سياسة الامة. ولكن تألف الاحزاب كما تقدم لا يوجب ان يكون اعضاؤها خرفانًا يتبعون بعضهم بعضًا. فانه لما كان المسيو

كومب رئيساً للوزراء في فرنسا وشرع في منع رجال الدين من التعليم خطر له ان ينكر حق التعليم للحكومة وحدها ويمنع الجمعيات والافراد من هذا الحق. فتصدى له المسيو كليمنسو وهو راديكالي من حزبه ونصيره في سياسته ضد الاكليروس وقال له في جريدة الاورور: لا تُدخل سفينة الحكومة بين هذه الصخور فانك بعملك هذا تعطي الحزب المعارض لنا الحق بان يقول انك دست مبداء الحرية في التعليم ونقضت دستور الجمهورية فتقوى حجته علينا. فعدل المسيو كويب عن ذلك واحنالوا يومئذٍ لهذا الامر بان تركوا التعليم حرًّا ولكنهم وضعوا قيودًا توصلهم الى غرضهم من اخراج الاكليريكيين منه وهذه القيود لا تمس الحرية بشيء لانهم يبيحون لهم التعليم على شرط ان يكون للحكومة حق المراقبة على تعليمهم وعلى نظاماتهم. و٩٥ في المائة منهم يأبون ذلك كل الاباء

واشدّ ما تبدو قوة هذه المعارضة وتأثيرها في حسن تدبير الامة انما هو في جمهورية فرنسا وجمهورية اميركا وهما الشعبان الكبيران اللذان يحكمان نفسهما بنفسهما حكماً حقيقياً. ولولاها لكان الحزب القابض على ازمة الاحكام يتكاسل ويخمل ويستبد بالامة على هواه كما يقع في البلاد الشرقية فتفسد احوال الامة بلا ريبة

ولكن هذه المعارضة لا تكون قوة حقيقية فعالة الاّ بالامر الثالث الذي اشرنا اليه آنفاً. وهو حرية الصحافة. وهنا نصل الى وظيفة الصحافة في الامة

للصحافة في الامة وظيفتان. الاولى اجتماعية والثانية سياسية. فوظيفتها الاجتماعية قائمة بان تنشر للناس ما يفيدهم في رفع نفوسهم واثارة نشاطهم ودلالتهم على طريقهم وتدبير شؤونهم الزراعية والصناعية والتجارية. ويدخل في ذلك محاربتها الشرور الاجتماعية التي تحلّ عزائم الامة وتفني نشاطها وتفسد امور معاشها. ووظيفتها الثانية ان تنشر لهم اعمال الحكومة ومقاصدها وما تتضمنه من الخطاء والصواب. فكأنها صلة غير رسمية بين الهيئة الحاكمة والمحكومة كما ان المجلس النيابي صلة رسمية بينهما. وانما يكون للصحافة هذه الوظيفة متى كانت لحزب او شركة لا لفرد واحد يديرها بحسب مصالحه واهوائه ويكون غرضها تأييد مبادىء وافكار لا الارتزاق منها والاتجار. ومتى كان لكل حزب جرائد تؤيد رأيه وتعضده نشأ عن هذا الاحتكاك المستمرّ بناء على ناموس بقاء الافضل زوال الآراء الضعيفة المضرّة وبقاء الآراء القوية النافعة. فكان قوة المعارضة في المجلس النيابي مخلّ يخل آراء المجلس ولا يبقي منها الا صحيحها ونافعها. والصحافة مخل آخر يخل آراء الاحزاب على نور الحرية الساطع. وآخر مثال لتاثير الصحافة في اميركا

مسألة مجازر شيكاغو في هذا العام . وكل الاصلاحات التي تجري هنا وفي غير بلد انما تجري على هذه الطريقة . وقد سموا الكتّاب الذين يشنون الغارة هنا على المفاسد الاجتماعية « ملتقطي الوحل » اشارة الى انهم يتتبعون وحل الفساد لجرفه حيثما وجدوه

هذه هي الاسباب الاوّل التي تحتاج اليها كل امة لتتمكن بها من النهوض . وهي مستوفاة في اميركا اكثر من غيرها وان كانت الطريقة النيابية في اميركا تختلف عن الطريقة النيابية في اوروبا مما سنفصله في حينه . وقد ذكرنا في ما تقدم هذين السببين الاصليين في نهضة اميركا . وفي الجزء التالي سنذكر ثمة الاسباب مما خصت به هذه البلاد دون غيرها

الضرائب عدالتها وحيفها

بحث اقتصادي عمراني (تابع لما قبله)

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

دعهم كما تجدهم

ثم اشار المستر ووكر بعد ذلك الى فقرة من مقالة نشرت في مجلة ايدنبرغ سنة ١٨٣٣ عدّها اصح قول بشان جباية الضرائب بحسب الطاقة وهي : « لا جزية عادلة الا الجزية التي بعد ما تجبى من افراد الامة تتركهم في تناسبهم من كل قبيل كما وجدتهم » ثم جعل يبحث في القواعد الاساسية التي بني عليها نظام ضرب الضرائب الماضية والحاضرة ويمحصها ليتوصل الى اصح تفسير لهذه الآية . فلاحظ ان هناك اربع قواعد وهي : ـ

١ً الضريبة التي ضربت على الثروة الحقيقية اي على رأس المال النقدي او العقاري
٢ً الضرائب التي ضربت على الدخل او الريع السنوي
٣ً الضرائب التي ضربت على نفقات المعيشة او على استهلاك الفرد للثروة
٤ً الضرائب التي ضربت على القوّة المستنفدة في العمل

هذه هي القواعد الاربع الاساسية التي بني عليها نظام الضرائب في ما مضى من عمر